القرن التاسع عشر هي احد العناصر التي تكونت منها الصهيونية · الى جانب عوامل اخرى لا تقل اهمية عنها ، من ابرزها ، تبلور الفكرة القومية واقامة العديد من الدول القومية ، ثم اتساع نفوذ الاستعمار الاوروبي وظهور اللاساميـة ونشاطها · الى جانب العنصر الديني الذي لم يكن بوسعها الاستغناء عنه في محاولاتها الهادفة الى تسخير الديانة اليهودية لخدمة اغراضها ·

اما الفصل الاول الذي يحمل عنوان (طلائع الصهيونية) او المفكرون الاوائل فيعرض الى ظهور دعاة الصهيونية الاوائل العلمانيين منهم والمتدينين · الذين نشطوا في مجال الدعوة الى هجرة اليهود من روسيا الى فلسطين وتوطينهم هناك · خاصة بعد الاعتداءات التي نظمت ضد اليهود على اختلاف طبقاتهم في روسيا على حد زعم الكاتب · على الرغم من انه يشير في مطلع هذا الفصل ، بان الفكرة الصهيونية بمفهومها السياسي الداعي الى اقامة دولة لليهود في فلسطين كانت وليدة القرن السابع عشر تقريبا ، حين ظهر اشخاص عديدون دعوا الى تحقيقها من خلال دوافع متباينة وفشلوا لعدم توفر الظروف الموضوعية يهوديا وعالميا لذلك ·

والفصل الثاني فقد كرسه المؤلف للحديث عن هواة صهيون او المنفذين الاوائل للفكرة الصهيونية · الذين ابتدأ بهم التسلل الاستيطاني الى فلسطين سنة ١٨٨١· حيث كانت الظروف الموضوعية التي كانت قائمة في دول اوروبا الشرقية خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر هي التي شجعت على هجرة اليهود من تلك البلدان · الى جانب الظروف الموضوعية (نظام الحماية) والاوضاع الادارية التي كانت سائدة في فلسطين ، والتي كانت خير معين لهم على التسلل ثم التغلغل لشراء الاراضي واقامة المستوطنات والمؤسسات عليها في فلسطين · ويقول المؤلف ان سنوات ١٨٨٢ ـ ١٨٨٤ كانت فاتحة نشاط هواة صهيون الاستيطاني في فلسطين ونهاية نشاطهم المستقل في الوقت نفسه · وذلك لاسباب اقتصادية جابهها المستوطنون الاوائل الذين كانوا من ابناء الطبقة المتوسطة· فاضطروا على اثرها الى طلب المعونة من جهات في اوروبا الغربية · فكان روتشيلد ابرز هؤلاء الذين مدوا يد العون · وبذلك يكون روتشيلد قد افتتح حقبة جديدة من تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين استمرت حتى سنة ١٩٠٠ لعب فيها دور البطل الرئيسي الذي اشرف على معظم عمليات الاستيطان التي نفذت خلالها · ويستطرد المؤلف ليقول ، بأن تجربة الاستيطان الصهيوني الاولى في فلسطين التي بدأها هواة صهيون واكملها روتشيلد ثم يكا لم تحظ بنجاح باهر· اذ برزت مشاكل متعددة امام المستوطنين اليهود غير نظام الوصاية الذي اتبعه روتشيلد في ادارة المستوطنات اهمها مشكلة التكيف مع البيئة الجديدة التي انتقلوا للعيش فيها ، وايجاد نمط من العلاقات مع سكان فلسطين من العرب الذين اتخذوا موقفا عدائيا منهم ·

اما هرتسل والمنظمة الصهيونية فقد كان عنوان الفصل الثالث الذي كرسه المؤلف للحديث عن مشروع الدولة اليهودية واجهزتها ·

وهرتسل كما يقول الاستاذ جريس كان يرى في بدء تصهينه ان حل المسألة اليهودية في اوروبا هو في شراء منطقة ما في العالم واقامة دولة لليهود فيها ،

ولاقامة هذه الدولة دعى الى انشاء مؤسستين لكل منها مهامها الخاصة بها ، الاولى هي « جمعية اليهود » والثانية « الشركة اليهودية » ·

وشرع هرتسل في مساع لمقابلة ملوك وزعماء عصره لحملها على تأييد فكرته